الفصل الأول

علم الكلام عند المسلمين

التعريفات والموضوع وعوامل النشأة

وهل نحن بحاجة إليه اليوم

علم الكلام، التعريفات والموضوع والمنزلة من العلوم الشرعية، وسبب التسمية، والموقف منه، وعوامل النشأة، وهل نحن بحاجة إليه اليوم

أ- التعريفات والموضوع:

يمثل علم الكلام مكانة هامة بين مباحث الفلسفة الإسلامية من جهة، وبين علوم الدين من جهة أخرى، وهو - علم الكلام - حسب تعريف التهانوى له:

« هو علم يُقتدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير بايراد الحجج ودفع الشبه »[1].

يتضمن هذا التعريف أن المتكلم يتخذ العقائد الدينية قضايامسلماً بها، ثم يستدل عليها بأدلة العقل حتى وإن أمكن الإهتداء إلى هذه العقائد بالعقل مستقلاً عنها، وفى ذلك يقول التهانوى:

« يجب أن تؤخذ العقائد من الشرع ليعتد بها، وإن كانت مما يستقل العقل فيه، وفى ذلك، يميز علم الكلام عن الفلسلفة ».

وقد أشار ابن خلدون إلى هذه التفرقة بين علم الكلام والفلسفة بقوله:

« وأعلم أنا لمتكلمين يستدلون فى أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود البارى وصفاته، وهو نوع إستدلالهم غالباً، وحتى إذا نظر المتكلم فى الموضوعات الطبيعية، فإنما ينظر فيها من حيث أنها تدل على الفاعل أو الموجد، أما نظر الفيلسوف فى الإلهيات، فهو نظرٌ فى الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته »[2].

وإشارة ابن خلدون هامة فى الدلالة على أن المتكلم إذا عالج موضوعات من صميم مباحث الفلسفة كالجسم الطبيعى والحركة، فأنما يعالجها ليُدعِّم بها إعتقاداً دينياً لديه.

وقد أشار طاش كبرى زاده (ت عام ٩٦٢ هـ) إلى التفرقة من حيث الغاية بين علم الكلام والفلسفة، فيقول:

---

(١) التهانوى (الشيخ المولوى محمد أعلى): كشاف إصطلاحات الفنون، بيروت، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، ص ٣٢٧.

« وقيل موضوعه – أى علم الكلام – الوجود من حيث هو وجود، وإنما يمتاز عن العلم الإلهى الباحث عن أصول الوجود المطلق بإعتباره الغاية، لأن البحث فى الكلام على قواعد الشرع، وفى الإلهى على مقتضى العقل » (١).

فالمتكلم يستند إلى ما جاء به الدين من إعتقادات، ثم يلتمس الحجج العقلية التى تدعمها، أما الفيلسوف فيبحث بعقله ويرى حقاً ما يتوصل إليه بالدليل دون نظر إلى ما جاء به الادين، المتكلم يعتقد قم يستدل، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد.

على أنَّ هذه التفرقة بينهما لا تمنع القول بإختلاط علم الكلام بالفلسفة لدى المتكلمين المتأخرين منذ أن نشر الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) علوم المنطق فى الملة حسبما قرر ابن خلدون.

أما العقائد الدينية، أو أصول الدين التى يتخذها المتكلم قضايا مسلماً بها يستدل عليها بأدلة العقل، فأهمها التوحيد والنبوة والمعاد أو بالأحرى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتدور هذه المسائل جميعاً حول الله – ذات وصفات وأفعال – وفى هذا يقول الإيجى (ت عام ٧٥٦ هـ):

« وقيل فى موضوعه هو ذات الله تعالى إذ يبحث فيه عن صفاته وأفعاله فى الدنيا كحدوث العالم، وفى الآخرة كالحشر، وأحكامه فيها كبعث الرسل ونصب الإمام » (٢).

وإذ تدور هذه المسائل وغيرها حول الله سمى هذا العلم بعلم التوحيد، أو علم التوحيد والصفات، وقد سمى أيضاً علم أصول الدين، لأنه يتعلق بالأحكام الأصولية أو الإعتقادية فى مقابل علم الفقه الذى يتعلق بالأحكام العملية أو الفرعية.

وتشمل الأحكام الأصولية أو الإعتقادية الإيمان بوجود الله الصانع، القادر المختار، ووحدانيته، وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وأما الأحكام الشرعية الفرعية أوالعملية (موضوع علم الفقه) فتشمل أحكام العبادات، والكفارات والنذور، والمعاملات المالية، وأحكام الأسرة وأحكام الجرائم والعقوبات المقررة عليها، وأحكام الدولة، وما إلى ذلك.

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة جـ٢، ص٢٠.

(٢) الإيجى (عضد الدين عبد الرحمن): المواقف، جـ١، ص٤٢، طبعة مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ.

ب- منزلته من العلوم الشرعية:

إذا قلنا فلسفة إسلامية، فإننى نعنى بها تلك الفلسفة التى نشأت وتطورت فى ظل الإسلام وحضارته، وإرتبطت به بأنواعٍ مختلفة من الإرتباط :-

(أ) إما بالدفاع عن عقائده.

(ب) أو بالتفهم الدقيق لأحكامه الشرعية العملية الفروعية، وإستنباطها عن أدلتها أوأصولها.

(جـ) أو بالعناية بجانب التذوق الروحى لأحكامه وأخلاقه.

(ء) أو بالملاءمة والتقريب بينه وبين فلسفاتٍ أخرى وافدة إلى المسلمين.

فعلماء المسلمين الذين نهضوا للدفاع عن عقائد الإسلام مستندين إلى الأدلة العقلية هم المتكلمون، ويعرف علمهم باسم « علم الكلام ».

والذين شغلوا أنفسهم بالأحكام الشرعية الفروعية من حيث تصنيفها، وكيفية إستنباطها عن أدلتها، هم الأصوليون، ويعرف علمهم باسم « علم أصول الفقه » .

والذين عُنوا بجانب السلوك والأخلاق، على أساسٍ من التجربة الروحية العميقة هم الصوفية، ويعرف علمهم باسم « علم التصوف » أو« علم الحقيقة » أو علم « السلوك ».

والذين وفقوا – أوحاولوا – بين الإسلام وبين فلسفات أخرى أجنبية أُعجبوا بها، كالفلسفة اليونانية، هم الفلاسفة الخُلَّص أو الحكماء، ويُطلق على فلسفتهم أحياناً اسم « الحكمة »، وهذا الأخير يقتضى معالجة المسائل المعروضة للبحث على نحوٍ خاصٍ بصرف النظر عن إرتباط هذه المسائل أساساً بالشرعيات أو عدم إرتباطها، فهو إذن يعالجها بمنهج مغاير لمناهج المتكلمين والأصوليين والصوفية، وفيه تأثر فلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية عامة، وبأرسطو خاصة، وفيه أيضاً تظهر قدرة فلاسفة المسلمين على الإبتكار، ولكنه إبتكارٌ محدود إذا قسناه بإبتكار المسلمين فى مجال علومهم الشرعية.

ومعنى ذلك أنه يمكن التمييز بين :

(أ) الفكر الفلسفى الإسلامى فى مجال العلوم الشرعية.

(ب) والفكر الفلسفى الخالص.

الأول يشمل علوم الكلام والفقه والتصوف، والثانى يشمل محاولات فلاسفة المسلمين التى تأثروا فيها بالثقافات الأجنبية، وعلى وجه الخصوص الفلسفة اليونانية، وعلى وجه أخص الفلسفة الأرسطية. وتستند العلوم الشرعية إلى علم الكلام، فيستند إليه الفقه – مثلاً – إستناد الفرع إلى الأصل، ذلك لأن علم الفقه يرتبط بالعمل، والعمل فرع على النظر والإعتقاد.

وعلم التصوف يستند إليه – أى إلى علم الكلام – ذلك لأنَّ التصوف يبحث فى الأحكام الشرعية – نظرية كانت أو عملية – من ناحية آثارها فى قلوب المتعبدين بها، من حيث أنه يعنى بجانب السلوك، والأخلاق على أساسٍ من التذوق الروحى والوجدان القلبى، ومن هنا فهو يستند إلى علمى الكلام والفقه، إذ لابد للصوفى على الحقيقة من علمٍ كامل بالكتاب والسنه لكى يصحح إعتقاداته وعباداته ومعاملاته على إختلافها.

ولهذا يقرر الدكتور التفتازانى أن إنفصال هذه العلوم (يعنى : علم الكلام، والفقه، والتصوف)، والتمييز بينها، إنما هو إعتبارى فقط، ذلك لأنَّ هذه العلوم يمكن أن تندرج تحت إسمٍ واحد، هو الشريعة،وجاء هذه الإنفصال والتمييز نتيجة التخصص العلمى الدقيق، وهو أشر ظهر فى الإسلام فى وقت متأخر، أما قبل ذلك فكان اسم الفقه يُطلق ليس فقط على العمليات من الشرع، وإنما أيضاً على الإعتقاديات والأخلاق [1].

وهذه المكانة الهامة لعلم الكلام، يمكن أنْ نلمسها بشكل واضح فى تصنيف العلوم عند العرب والذى قام عندهم على بيان تصورهم للمعرفة البشرية، وتوضيح علاقات أجزائها بعضها ببعض موضحين ترتيب العلوم من حيث الخصوص والعموم، ومبينين حدودها، والعلاقات القائمة بينها.

نجد هذا فى تصنيف الفارابى، وأخوان الصفا، وابن النديم، والخوارزمى، والغزالى، وابن خلدون، وطاش كبرى زاده، وغيرهم.

---

(١) راجع الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٥ – ٦.

(ج) سبب التسمية:

ذُكرت أقوالٌ كثيرة في سبب تسمية هذا العلم بالكلام، يقول الإيجي (ت٧٥٦هـ):

«وإنما سُمي الكلام إما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، وإما لأنَّ أبوابه عُنونت أولاً الكلام في كذا - الخ، أو لأنَّ مسالة الكلام أشهر أجزائه، حتى كثر فيه التشاجر والفك فغلب عليه، أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم»[1].

ويُعلق الدكتور/ صبحي على عبارة الإيجي هذه قائلاً، أنها تفيد أن المتكلمين أرادوا مقابلة علم الكلام بالمنطق، فكما أنَّ الأخير (المنطق) يُمكِّن الفيلسوف من الاستدلال، فكذلك علم الكلام يورث من يمارسه قدرة على الكلام، ولذلك خصّه المتكلمون بهذا الإسم، ويذكر لفظ «كلم» كثيراً بمعنى جادل أوناظر.

أما القول في تعليل التسمية، أنَّ أبواب هذا العلم تبدأ معنونة بالكلام في...، فليس علم الكلام وحده دون سائر العلوم هو الذى أختص بهذا النحو من التبويب.

ويبدو - والحديث ما زال للدكتور/ صبحي - أنَّ أصح الأقوال في ذلك هو الرأى الثالث، فمسألة «كلام الله» أو خلق القرآن هي أشهر المسائل التي ثارحولها الخلاف بين المتكلمين زمن المأمون، إذ احتدم الصراع إلى حد الإضطهاد وسفك الدماء بين المعتزلة والحنابلة حول مشكلة:

هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ هل كلام الله محَدث أم قديم؟ فأطلقت التسمية على العلم بأكمله[2].

(ء) الموقف من علم الكلام:

قُوبل علم الكلام، في أول أمره، بموجة من الإستنكار الشديد، من قِبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية، وأطلقوا على علم الكلام وأهله، أصحاب البدع، ومن

---

(١) الإيجي: المواقف ص١٦ ص١٦.

(٢) راجع تفصيلاً في ذلك: الدكتور أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، جـ١، المعتزلة، الطبعة الرابعة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٤-٥.

أهم ما أستندوا إليه فى هذا الوصف، أنَّ الرسول ﷺ والصحابة عليهم رضوان الله، لم يشتغلوابه، فهو من البدع، فراحوا يكتبون فى ذم علم الكلام وأهله.

فقد رُوى عن الإمام مالك (ت عام ١٧٩ هـ) أنه قال:

«إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال أصحاب البدع هم الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابه والتابعون لهم بإحسان.

وفى قول آخر له:

«الكلام فى الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا - يقصد المدينة المنورة - يكرهونه ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل».

وكان سفيان الثورى (ت عام ١٦١ هـ) ينهى أصحابه عن مجالسة المتكلمين ويقول:

«عليكم بالأثر وإياكم والكلام فى ذات الله».

ويقول جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ):

«تكلموا فيما دون العرش، ولا تتكلموا فيما فوق العرش، فإن قوماً تكلموا فى الله فتاهوا» [1].

فأنت تجد من هذه الأقوال، وغيرها، أن علم الكلام، قوبل فى أول أمره، بموجة من الإستنكار والرفض الشديدين من كثير من علماء المسلمين، والواقع أنَّ الإسلام - شأنه شأن أى دين آخر - قد مرّ بمرحلتين: مرحلة التصديق القلبى والإيمان بالعقائد والأصول حتى يرسخ الدين فى القلوب، ثم مرحلة البحث والنظر وصوغ مسائل الدين صياغة فلسفية، فلم يكن هناك سائل فى عهد الرسول - ﷺ - يسأل عن كيفية الإستواء فى الآية الكريمة: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

---

(١) ونجد هذا الإستنكار الشديد لعلم الكلام وذمه، عند كثرة من علماء المسلمين والمتبعين، نذكر منهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) فى كتابه «تأويل مختلف الحديث»، وابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) فى كتابه «مختصر جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغى فى روايته وعمله»، والهروى (ت ٤٠١ هـ) فى كتابه «ذم الكلام وأهله»، وغيرهم.

وإن سأل فإنه يلقى الجواب الذى قال به مالك بن أنس «الأستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب».

وقد خشى المسلمون الأوائل أنْ يكونوا من أهل البدع الذين قال الله فيهم:

«فأما الذين فى قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله».

ولكنهم أرادوا أن يكونوا حسب تكملة الآية:

«والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكّر إلا أولوا الألباب».

وعلى هذا تجمع المصادر أنَّ المسلمين فى زمن الرسول - ﷺ - لم يختلفوا حول أمر من أمور العقيدة الرئيسية مثل: وجود الله وصفاته، ولم يبحثوا فى هذه المسائل، كلهم فهموا ذلك من القرآن الكريم، وسكتوا عن الكلام فى الصفات، ولم يتأول أحدٌ منهم آيات القرآن الكريم فى هذا الصدد، ولم يكن لدى أحدٍ منهم ما يستدل به على وجوده تعالى، وعلى نبوة محمد - ﷺ - سوى ماجاء فى الكتاب الكريم، ومن هنا لم يعرف أحدٌ منهم شيئاً من طرق الكلام والفلسفة.

وفى عبارة واحدة، لقد اكتفى المسلمون الأوائل بما جاء فى القرآن الكريم من عقيدة متكاملة، فلم يبحثوا بحثاً نظرياً فى أصول الدين، ولم يسعوا إلى التعلم من غيرهذا المصدر الإلهى، فقد وجدوا فيه ما يجب معرفته عن الله والعالم والإنسان، ولم يخوضوا فى جدلٍ حول العقيدة، ولهذا نقول إنه لم يكن عند المسلمين الأوائل فى زمن الرسول - ﷺ - والصحابة الأوائل، كلام أو فلسفة، ولاخوض فى جدال، وإنما إجماعٌ فى الكلمة حول العقائد [1].

هذا عن مرحلة التصديق القلبى والإيمان بالعقائد والأصول، حتى يرسخ الدينُ فى القلوب، ولكن الدين - أى دين - لابد أن ينتقل المؤمنون به إلى مرحلة ثانية فيها بحث ونظر وصياغة فلسفية للعقائد الدينية، قد يرجع ذلك إلى أنَّ حب الإستطلاع

---

(١) راجع تفصيلاً فى ذلك: الدكتور محمد صالح محمد السيد، أصالة علم الكلام، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢١ - ٢٣.

طبيعي في البشر، فالناس جميعاً قد وهبوا الإستعداد للنظر العقلي والتفكير الفلسفي ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ ﴾ (١) .

إن علم الكلام، شأنه في ذلك شأن سائر العلوم الإسلامية، قد وجد منطلقاً من القرآن منهاجاً وموضوعاً، فمنهجياً، لا يتعارض النظر مع الإيمان، لقد حث القرآنُ المسلمين على أنْ ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وأن يتفكروا وأن يتدبروا (٢)، ومن ناحية أخرى ذم القرآن الذين لا يفكرون أو لا يعقلون .

والأنبياء للمسلمين أسوة، وقد جاء إيمان أبي الأنبياء إبراهيم بعد نظرٍ عقلي حين رفض أن يعبد مايأفل (٣) فجاء إيمانه ، بالذي فطر السموات والأرض إيماناً عن يقين، ثم تدرّج من الإيمان إلى الإطمئنان حين سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٤) .

أما من ناحية الموضوع، فلقد التزم المتكلمون على إختلاف فرقهم بما حدده القرآن من أصول عامة في الأعتقاد: التوحيد، أسماء الله وصفاته، صلة الله تعالى بالعالم، فهي صلة خلق وليس صانعاً أو محركاً بمفهوم أفلاطون أو أرسطو، الحكمة لا الآلية أو المصادفة ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ (٥)، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (٦)ـ عالم بالكليات والجزئيات جميعاً: ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾(٧) حدوث العالم والخلق من العدم، الإنسان خليفته تعالى في أرضه. ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٨) .

وإجتماع الخير والشر فيه . ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة الكهف آية (٥٤) .

(٢) تأمل على سبيل المثال : النحل آية ١١ ، ١٢ ، البقرة : آية ٧٣ ، ٢٤٢ ، الأنعام : آية ١٥١ ، وغيرها من الآيات التي تحث على النظر والتدبر والتفكر .

(٣) سورة الحشر آية (٢١) .

(٤) البقرة آية ٢٦٠ ؛ وتأمل الانعام : الآيات ٧٥ – ٧٩ وما تضمنه من نظرٍ عقلي مارسه سيدنا إبراهيم ، والشك الذي عاشه كمرحلة سابقة من أجل اليقين.

(٥) سورة المؤمنون آية (١١٥) .

(٦) سورة الفرقان آية (٢) .

(٧) سورة سبأ آية (٣) .

(٨) سورة البقرة آية (٣٠) .

(٩) سورة البلد آية (١٠) .

والمسئولية فردية . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١) ، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴿٢١﴾﴾ (٢) وأيضاً من الأصول العامة فى الإعتقاد والتى حددها القرآن الكريم، والتزم بها المتكلمون على إختلاف فرقهم ، فكرة أنَّ الإنسان هو الذى حمل – دون سائر المخلوقات – الأمانة والتكاليف، وفكرة مصيره بعد الممات .

هذا إضافة إلى أنَّ الرسول الكريم – ﷺ – قد حث على الإجتهاد الذى أصبح المصدر الثالث للتشريع – بعد القرآن والحديث – فى سؤاله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: كيف – يسأله الرسول – ﷺ – تصنع أنْ عرض لك قضاء ؟ قال معاذ: أقضى بما فى كتاب الله، قال – ﷺ – فإن لم يكن فى كتاب الله، قال فبسنة رسول الله، قال – ﷺ – : فإن لم يكن فى سنة رسول الله، قال: أجتهد رأيى لا آلو، فضرب – ﷺ – بيده صدر معاذ، وقال: الحمد لله الذى وفَّق رسول الله لما يرضاه الله ورسوله .

(هـ) عوامل نشأة علم الكلام:

أولاً : عوامل من داخل البيئة الإسلامية :

١- القرآن الكريم : أثارت الآيات المتشابهات (١) فى القرآن الكريم تفسيرات وتأويلات مختلفة، مما دعا العقل إلى النظر فيها، فقد أثارت على سبيل المثال – الآيات المتعلقة بالجبر والاختيار – نقاشاً عقلياً بين منكرٍ للحرية ومثبتٍ لها، لأنَّ هذه الآيات تركت الباب مفتوحاً للقول بالجبر أو القول بالحرية، ولم تقطع برأى بعينه، ومن هنا بدأ العقلُ يتساءل: كيف يمكن أنْ يكون الإنسانُ مختاراً ومجبوراً فى آنٍ واحد؟ ثم هل للإنسان إرادة يدبر بها؟ وما صلة هذه الإرادة بإرادة الحق تعالى؟ وما معنى إختيار الإنسان؟ إذا كان له إختيار، وكيف يتم التكليف مع كونه مجبراً؟ وكذلك ما تفسير الثواب والعقاب مع القول بالجبر؟ كل هذه تساؤلات عرضت للعقل الإنسانى عندما أمعن فى فهم نصوص القرآن الكريم مما دعاه إلى الإجتهاد فيها.

---

(١) تنقسم آيات القرآن الكريم إلى : آيات محكمة، وآيات متشابهة، والمحكم هو الذى أحكمه الله تعالى، أى فصله عن الإشتباه بغيره، فالإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل إتقانه، وهكذا تكون الآيات المحكمة آيات واضحة لا غموض فيها ولا فساد.

والمتشابه: لغة هو المشكل ، والمتماثل والملتبس، وقيل معناه يشبه بعضه بعضاً.

كما أثارت أيضاً الآيات المتعلقة بالصفات نقاشاً عقلياً حولها، ذلك أنَّ بعضها قد أشار إلى تشبيه أو تجسيم – إذا أخذت على ظاهرها [1] .

وإلى جانب ذلك، فقد أحتوى القرآن الكريم على ذكر العقائد المخالفة للإسلام، وعلى الحجج الداحضة لها، فكان ذلك من العوامل التى أثارت عقول المسلمين إلى البحث فى العقائد وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة [2] . مثل هذه الآيات، لابد وأن تثير عند قُرائها تساؤلات، حول تلك العقائد والمذاهب والأديان المخالفة، وحول العلاقة بين كلٍ منها وبين العقيدة الإسلامية [3] .

كما ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام، على نحو رده على الدهرية، وعبدة الكواكب، ومنكرى النبوات، ومنكرى البعث، وأصحاب الديانات السماوية من اليهودية والمسيحية. ولقد اشتمل القرآن الكريم أيضاً على المادة الأساسية التى كوّنت موضوعات علم الكلام، فنحن واجدون فيه عرضاً للأدلة على وجود الله تعالى، تلك الأدلة التى تكاد تكون بعينها الأدلة التى استند إليها المتكلمون فى هذا الصدد مما يُشير إلى اعتمادهم على القرآن الكريم فى هذا الجانب.

فقد تميّز القرآن الكريم بأنه جعل نقطة البداية لمعرفة الله تعالى ما يشاهده الإنسان فى الكون وفى نفسه، ونجده ينبه فى كثيرٍ من آياته التى تناولت العالم وخلقه، إلى قدرته تعالى، وبديع صنعه، من هذه الآيات إستخلص علماء الكلام والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكونية بوجهٍ عام دليلاً على وجود الله تعالى، وهو الدليل المُسمى بدليل التدبير أو دليل الإتقان أوالإحكام، وهو يتلخص فى الإستدلال من النظر فى نظام العالم على وجود صانع قادر حكيم طبقاً لمبدأ عقلى هومبدأ العلية الذى يقضى بأنَّ كل حادث، وكل شئ يقع على نحوٍ ما، لابد له من علةٍ كافية.

ولقد كان هذا الدليل من أقوى الأدلة التى أستند عليها المتكلمون والفلاسفة فى إثبات وجود الله تعالى، بل وجميع من تعَّرض لهذه الفكرة – العناية والإتقان والحكمة– قديماً وحديثاً.

---

(١) مثل الآيات التى ورد فيها ذكر اليد والاستواء على العرش .

(٢) تأمل مثلا : سورة الحج آية ١٧٨ ، سورة البقرة آية ٦٢ .

(٣) الدكتور التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته، ص ٨ .

كما أشارت الآيات القرآنية إشارة واضحة إلى مشكلة كلامية هامة ، أختلف المسلمون حولها، بل أقتتلوا بسببها، وهى مشكلة كلام الله هل هو قديم قدم الله تعالى؟ أم هومحدث مخلوق، فلقد أشارت الآيات القرآنية إشاراتٍ واضحة إلى هذين القولين[1] .

وهكذا ، كانت نصوص القرآن الكريم، بما أحتوته من بعض الآيات المتشابهات، وما أثارته من تفسيراتٍ وتأويلاتٍ مختلفة، وبما أحتوته أيضاً من شرح لعقيدة التوحيد، وذكر للعقائد المخالفة لها، نقول كانت نصوص القرآن الكريم من العوامل التى دعت إلى ظهور علم الكلام، ذلك لأنَّ هذه النصوص، إمَّا أنْ تكون أثارت فى عقول بعض المسلمين حب البحث فى العقائد الإسلامية، وتقصّى العقائد المخالفة لها، أو لأنَّ بعض هذه النصوص من قبيل المتشابه الذى لايدرك كنه معناه،كبعض الآيات فى الصفات وغيرها، وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء لمثل هذه المتشابهات إلى مشكلاتٍ عقائدية عويصة، كانت فيما بعد موضوعاً لعلم الكلام.

٢- مشكلة الإمامة :

أختلف الناس بعد النبى - ﷺ - فى أشياء كثيرة أولها إختلافهم فى الإمامة، وأسباب هذا الخلاف من الناحية التاريخية راجعٌ إلى أنَّ الرسول - ﷺ - قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يستخلف - فى رأى جمهور أهل السنة والخوارج - أحداً بعده، فكان إجتماع السقيفة الذى أسفر على مبايعة أبى بكر خليفة، ثم عيّن أبو بكر عمراً خليفة من بعده، ثم جعل عمر الشورى فى ستة، وقلد عبد الرحمن بن عوف أحد الستة وهو عثمان بن عفان الخلافة، ثم كان مقتل عثمان بن عفان نذيراً بإندلاع الفتنة الكبرى والحرب الأهلية بين المسلمين، ولم يستقر الرأى أو الأمر لعلى، وإنما نافسه طلحة والزبير فضلاً عن معاوية المطالب بدم عثمان، ولم يهنأ على بإنتصاره فى واقعتى الجمل وصفين، فكان التحكيم بينه وبين معاوية، وخروج بعض شيعته عليه، وهم الخوارج، وبظهورهم بدأ الفكر السياسى فى الإسلام، إذ لم يكن خلافهم على على طمعاً فى أن يكون أحدهم خليفة كما هو الحال بالنسبة للطامعين فيها، أمثال طلحة

---

(١) تأمل على سبيل المثال: سورة الأعراف آية ١٤٥، التوبة آية ٦٠، الواقعة آية ٧٧، وفى مجملها آيات تشير إلى قدم القرآن، وانظرأيضاً : الزمر: ٢٣ ، النساء ٢،السجدة : ٢، طه: ١٢ - ٤٧، الإسراء: ٨٦.

والزبير ومعاوية، وإنما إختلافهم حول المبادئ، فلقد أثاروا لأول مرة فى الفكر الإسلامى مشكلات سياسية مثل وجوب الإمامة ومدى أحقية قريش باستئثار الخلافة، ثم كان قتل على بيد أحد الخوارج، وبعد ذلك كانت كارثة كربلاء، والسيف الذى جزّ رقبة الحسين بن على سبط النبى – ﷺ – وجزّ معه وحدة المسلمين إلى اليوم، إذ لا زال أكبر إنشقاق مذهبى بين المسلمين هوإنقسامهم إلى سنة وشيعة، وهكذا أصبح البحث فى الإمامة محور الخلاف بين أهل السنة والشيعة والخوارج، وهذه هى أهم الفرق الكلامية.

٣- الحكم على مرتكب الكبيرة :

ولم تكن مشكلة الإمامة هى وحدها التى أثارها الخوارج، وإنما أثاروا موضوعاً آخر يتصل بالحكم على مرتكب الكبيرة مثل سفك الدماء وإغتصاب الأموال، فقد أعلن الخوارج تكفيره، حتى يحل لهم بذلك حربه ورأى فريقٌ آخر إرجاء الحكم عليه إلى يوم القيامة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، وهذا رأى المُرجئة، فلا يضر مع الإيمان معصية، وأنَّ فاعل الكبيرة مؤمن، وظهرت فرقة ثالثة وهى المعتزلة، أعلنت أنَّ مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن – كما ذهب المرجئة –، ولا هوكافر – كما ذهبت الخوارج –، إنه فى منزلة بين المنزلتين، ذلك أنه يشبه المؤمن فى عقيدته ولا يشبهه فى عمله، ويشبه الكافر فى عمله، ولا يشبهه فى عقيدته.

وقد لزم عن ذلك بحثٌ فى مفهوم الإيمان، هل يقتضى العمل الصالح كما ذهب إلى ذلك الخوارج والمعتزلة، أم أنه فى القلب فقط، أو فى القلب وعلى اللسان، كما أعلنت المرجئة، وهل الإيمان يزيد وينقص بزيادة صالح الأعمال ، أم أنه لايزيد ولا ينقص ما دام فى القلب فقط؟.

وهكذا، فأنت تجد أنَّه كان لمشكلتى الإمامة والحكم على مرتكب الكبيرة، أكبر الأثر فى نشأة الفرق الكلامية المختلفة، وفى إحتدام وإختلاف الرأى بينها.

ثانياً، عوامل من خارج البيئة الإسلامية:

يمكن القول بأنَّ علم الكلام نشأ نشأة إسلامية بفضل عوامل إسلامية – كما قدمنا. غير أنه يمكن القول أيضاً بأنَّ هنَاك مؤثرات أجنبية من خارج البيئة الإسلامية،

أعانت على تطور علم الكلام بتوسيع مباحثه وتعميقها، تتمثل هذه المؤثرات فى أصحاب الديانات الأخرى التى انتشر الإسلام فى أقطارها، والتى جاء علم الكلام وليد صراع فكرى بين المسلمين وأصحاب هذه الديانات الأخرى، ومن ثم وجب إستعراض أوجه الخلاف كما صادفه مسلموا القرون الأولى للهجرة، وكيف إنبعث عن هذا الخلاف موضوعات علم الكلام.

١- بين الإسلام واليهودية :

إلتقى المسلمون باليهود واختلفوا معهم منذ البداية فى نقاط كثيرة، كانت موضع نقاش وجدال بين الفريقين، وصارت من أهم موضوعات علم الكلام فيمابعد، ولعَّل أهم هذه النقاط مايلى :

(أ) إنكار اليهود لنبوة محمد (ﷺ) ونبوة عيسى عليه السلام، فقد ذهبوا إلى أنَّ الدين لبنى إسرائيل فقط وليس ثمة أنبياء، وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدال بين المسلمين واليهود.

وقد لزم عن هذا الإنكار مشكلة كلامية وهى النسخ، إذ أنكر اليهود أنْ يأتى نبى من بعد موسى ينسخ شريعته، إذ لا تكون الشريعة إلا واحدة إبتدأت بموسى وتمت به، فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية.

(ب) التشبيه والتجسيم: نزع اليهود إلى التشبيه والتجسيم ، وذلك لأنهَّم وجدوا التوارة مليئة بالمتشابهات من « التكلم جهراً » ، والنزول عند طور سيناء إنتقالات، والإستواء على العرش إستقراراً، وجواز الرؤية فوقاً ، وغير ذلك.[١]

(جـ) وإذا كان الإسلام قد رفض الصورة البشرية التى أضفتها اليهودية على الله، فإنه قد أستنكر كذلك ما تنسبه التوراة إلى معظم الأنبياء من رزائل بل كبائر، ليس فحسب لا تليق بمقامهم، بل لا تصح أنْ تصدر من فردٍ عادى[٢] .

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ٢، ص٥١.

(٢) مثل تنازل إبراهيم - عليه السلام - عن زوجته خشية على حياته من فرعون وقوله أنها أخته، ومضاجعة لوط - عليه السلام - لإبنتيه بعد أنْ سقياه خمراً وإغتابه منهما، وعشق داود - عليه السلام - لزوجة أحد قواده . وإتصاله بها فى غيابه ، ثم تخلصه منه..الخ .

وقدم القرآن صورة أخرى للأنبياء تجعلهم فى المكانة التى تليق بهم، وقد أوجب المتكلمون العصمة عن الكبائر، وأصبحت «عصمة الأنبياء» إحدى موضوعات علم الكلام.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن اليهود قد إنتهزوا الفرصة للتسلل إلى نطاق إسلامى خطير وهومجال التفسير، ويحدثنا الدكتور أحمد محمود صبحى فى كتابه القيّم (فى علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين، الجزء الأول، المعتزلة) يحدثنا **عن كيف إنتشرت الإسرائيليات فى مجال التفسير**، وكيف كانت قصص الأنبياء مجالاً خصباً لها، وكيف انتشرت هذه الإسرائيليات أيضاً فى مجال الحديث النبوى، وألقت بأفكار التشبيه والتجسيم، وأحاديث عن الميعاد، وأشراط الساعة، والمهدى المنتظر، والمسيح الدجال، وقد لعبت هذه الأحاديث والأفكار دوراً خطيراً فى ظهور الحشوية فى الإسلام، وأعقبها نشأة المشبهة ثم المجسّمة. ويرى الدكتور صبحى أنَّ الأثر اليهودى كان أهم المصادر فى نشأة التشبيه والتجسيم عند بعض الفرق الإسلامية.

ومن مظاهر الإسرائيليات كذلك – إلى جانب إسرائيليات التفسير والأحاديث الموضوعة فى التشبيه – الإعتقاد بالرجعة – أى رجوع بعض الأفراد إلى الحياة بعد الممات، فقد أمات الله عزيزاً مائة عام ثم بعثه، واعتقد بعض اليهود برجعة هارون، بعد أن نسبوا إلى موسى أنه قتله حسداً وقد كانوا إلى هارون أميل، وذهب بعض غلاة الشيعة إلى القول برجعة على، وتذهب الشيعة الاثنى عشرية إلى أنَّ الإمام الثاني عشر محمد ابن الحسن العسكرى أو المهدى المنتظر قد غاب وسيرجع، والإعتقاد بأن إلياس النبى صعد إلى السماء وسيعود.

وقد كان من نتائج الأثر الضخم لتسرب الإسرائيليات إلى فكر بعض فرق المسلمين، أنْ أصبحت كل فرقه إسلامية تتهم الفرق التى تخاصمها بالابتعاد عن الطريق الحق، ولكن البعض من المتكلمين – وبخاصة المعتزلة – وقف يزود عن الإسلام ويؤكد التنزيه، وإمكان نسخ الشرائع، وعصمة الأنبياء، والتدليل على نبوة كل من المسيح والمصطفى عليهما السلام.

٢ – بين الإسلام والمسيحية :

التقى الإسلام بالنصرانية في شبه الجزيرة العربية، قبل أن يلتقى بها فى البلدان المفتوحة كالشام ومصر، وقد أعتنقت بعض القبائل فى الجاهلية الديانة المسيحية على أيدى بعض الرهبان، ويمكن القول أنَّ نقاط الخلاف بين الإسلام والمسيحية تركزت فى:

التثليث، والإتحاد، والصلب، وعبادة المسيح، وإليك موقف القرآن الكريم من هذه النقاط الأربع.

– أنكر القرآن الكريم إنكاراً صريحاً، قولهم بالتثليث، فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (١).

– كما عارض القرآنُ الاتحاد بجميع صوره، فرد على أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة – أى الذين قالوا أن الله تعالى والمسيح بن مريم عليه السلام من طبيعة واحدة– فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ (٢).

معنى ذلك أنَّ القرآن الكريم قرر أن المسيح إنسانٌ مخلوق، وخلقه الله كما خلق آدم، خلقه من تراب، وهو رسولٌ لبنى إسرائيل معلناً ذلك فى قوله تعالى: (٣). يجد الناظر فى هذه الآيات أنَّ القرآن الكريم يقرر بشرية المسيح، ويوضح حقيقته أنه رسولٌ لبنى إسرائيل، ويعارض القرآن مسألة الصلب منكراً إياها، ومعلناً أنهم ما صلبوه وما قتلوه، ولكن شبه لهم هذا وقدأنتج لنا لقاء المتكلمين مع المسيحيين مشكلات هامة حول ذات الله وصفاته، وكلام الله، وتفسير الخير والشر والمسئولية، خاض المتكلمون فى هذه المشكلات، وكانت لهم فيها آراءٌ شكلت تاريخ علم الكلام، وساعدت على توسيع موضوعاته وتطورها.

---

(١) سورة المائدة آية ٧٢، ٧٣، ٧٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨.

(٢) سورة المائدة آية ١٧.

(٣) سورة آل عمران آية ٤٥ – ٥١.

حقيقة أنَّ لهذه المشكلات أصولاً فى الكتاب والسنة، ولكن هذه المواجهة – الفكرية – لأهل الكتاب هى التى أبرزت النقاش والجدال حولها.

ولا ننكر أنَّ بعض أفكار المسيحين قد تسرّبت إلى فكر المسلمين، فقد تسربت إليه، فكرة رفع عيسى إلى السماء بجسمه وروحه، وأنه لم يمت، وأنه سيعود، وأيضاً فكرة الحلول، حلول اللاهوت فى الناسوت، وغير ذلك من الأفكار التى غذّت بلا شك بعض فرق الشيعة الغاليه.

٣- بين الإسلام وديانات الفرس والهند:

– يتصل الخلاف بين المسلمين وديانات الفرس بالجانب الأخلاقى، وبوجه خاص مشكلة الشر – أصله ونشأته – وهل يمكن نسبته إلى الله الواحد مع عدله، أم إلى موجودٍ آخر، وهل الشر قديم قدم الخير، فهما متساويان؟ إذن كيف يمكن الأمل فى الخلاص يوماً ما من الشر وهو يطاول الخير؟ وإذا كان الشر حادثاً والخير قديماً، فكيف نشأ الشرمن الخير، وكيف رضى الأخير بذلك؟ وهل كان ذلك منه عن قصد؟ وكيف يقصد الخير شراً، أم كان إتفاقاً ومصادفة، وكيف يوجد الشر كذلك؟

تحتل هذه المشكلة – مشكلة الشر – مكاناً بارزاً فى ديانات الفرس، زرادشتية ومانوية ومزدكية، وكان على المتكلمين أنْ يجدوا حلاً إسلامياً لتفسير الشر، هل يُنسب إلى الله تعالى، أم إلى إبليس، وكيف رضى تعالى ببقاء إبليس ليضل الناس ويغريهم بما يخالف الإسلام.

هذا عن بعض أثر احتكاك المسلمين بديانات الفرس، وما ولّده من إثارة بعض المشكلات الأخلاقية التى كان لزاماً على المتكلمين أنْ يجدوا حلاً إسلامياً لها.

أما عن أثر الديانات الهندية ونشأة وتطور علم الكلام، فتجدر الإشارة إلى أنَّ المسلمين قد اتصلوا بالهند بحراً عن طريق البصرة، وبراً عن طريق فارس، ووقفوا على دياناتهم الكبرى، وخاصة البراهمة، ولها عقيدتان، الأولى القول بتناسخ الأرواح»، أى بقاء النفس بقاءً أبدياً، وأنتقالها الدائم من بدن إلى بدن، وهى فى انتقالها فى الأبدان المختلفة تترقى أى تنتقل من البدن الأول إلى

الأفضل دون أن يكون العكس، وأرتبط الثواب والعقاب أى تفسير الجنة والنار بالتناسخ »[1] .

وقد وقف المتكلمون من القول بالتناسخ، وقفاً عدائياً لأنه يرتبط بتفسيرات خاطئة للثواب والعقاب، وقاوموا كل من تسرّب إليه القول بالتناسخ، مقاومة عنيفة لا هوادة فيها.

والقضية الثانية، قولهم بإنكار النبوة بحجة أنَّ بعثة الرسل تتنافى وحكمة الله تعالى لأن الحكيم - فى زعمهم - لا يبعث رسولاً إلى قومٍ يعلم أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته، فضلاً عن أنَّ بعثة الرسل إذا كانت قد جاءت لإخراج الناس من الضلال إلى الإيمان، فإنَّ الحكمة تقضى بأنْ يُفطر الناسُ على الإيمان، غير أنَّ أهم حجة لهم هى إستغناؤهم بالعقول عن الأنبياء، لأنَّ الذى يأتى به الأنبياء والرسل يمكن للعقل التام إدراكه والوصول إليه، وبالتالى فلا حاجة لنا إلى الرسول أو النبى[2] .

ولقد أورد المتكلمون ردوداً مطولة على هذه الأدلة ينصرون من خلالها النبوة، وضرورة إرسال الرسل والأنبياء، مبينين أنَّ العقل بمفرده لا يكفى فى هداية البشر.

وهكذا فأنت تلحظ أنّه كان للمواجهة الفكرية بين الإسلام وسائر الأديان، أثره فى نشأة موضوعات علم الكلام، فقد لزم عن المواجهة بين اليهودية والإسلام موضوعات تتعلق بالتنزيه والتشبيه وبإمكان نسخ الشرائع ثم بعصمة الأنبياء ، وبين المسيحية والإسلام ظهرت موضوعات تتعلق بموقف القرآن الكريم من التثليث، والاتحاد، والصلب، وعبادة المسيح، وعن المواجهة بين الإسلام وديانات فارس والهندظهرت جوانب ميتافيزيقية متعلقة بالأخلاق، أو بالأحرى البحث فى أصل الشر، ودافع المسلمون عن النبوات، وأنكروا التناسخ، رداً على إعتقادات الديانات الهندية، وخاصة البراهمة.

***

(١) البيرونى : تحقيق ، ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) راجع ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ١ ، ص٦٩ ، ٧٠.

(و) تعقيب :

يتبين لنا إذن هدف هذا العلم الجليل، وهو المحافظة على عقائد المسلمين من تحديات الأفكار الدخيلة، وقيادة مسيرة الحضارة الإسلامية فى طريقها الإسلامى، وليس هناك علمٌ يتصدى لذلك غير هذا العلم، فهو حيث يعنى بأصول الدين وعقائده – تلك التى قامت على أساسها الحضارة الإسلامية – يقوم بمهمة قيادة هذه الحضارة ولم يكن من شرطٍ لصلاحية القيام بهذه المهمة إلاّ أن يواجه بشجاعة مشكلات العصر الذى يُطلب إليه قيادة حضارته، ويتصدى لتحدياته، ويتغلغل فى أعماقه فى كل ماله مساس بأصول الدين.

وهكذا كان علم الكلام، وهكذا احتفظت حضارة المسلمين بجوهرها الإسلامى، وكان للمتكلمين فى هذا المجال فضلٌ يذكر، بل يكاد المرءُ يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أنْ يحدث لو لم يقيض الله لهذه الأمة أولئك الغيارى الذين لم يألوا جهدا فى الدفاع عن حياض الإسلام ضد التيارات الفكرية الدخيلة التى كانت تستهدف الاسلام من جذوره، أو إذا وجدت تلك التحديات فراغاً عند المسلمين والتقت فيهم بالمواقف السلبية.

وما أحوجنا اليوم فى عصرنا الحاضر إلى علم كلام حيوى نشط، كما كان يتسم به فى نشأته الأولى، وكما استطاع أنْ يقوم بدور أصيل فى المحافظة على العقائد الإسلامية التى تتعرض اليوم لمثل ذلك الخطر إنْ لم يكن أشد منه عنفاً .

ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية، وبراجماتية، ووصفية، ووجودية: دعوات صريحة إلى الإلحاد.

وحول المنهج العلمى يجر الإلحاد ذيوله باسم إنكار كل ما لا يخضع للتجربة، وباسم التطور الذاتى وحتمية قوانين الطبيعة ، وعدم قبول المادة للفناء . . إلى آخر ذلك.

وفى التنظيم الاجتماعى سحاباتُ من الإلحاد، إذ تقوم بعض الدعاوى فى هذا المجال على إنكار الدين، واعتباره طوراً متخلفاً من أطوار التقدم الاجتماعى.

وفى قضايا التشريع ، نزوعٌ إلى الإلحاد: حيث يُهاجم الدينُ فى نظرته إلى الرق،

وإلي تعدد الزوجات، وإلى قوامة الرجل على المرأة، وزيادة نصيبه فى الميراث، وفى عقوباته التى يُقررها فى جرائم السرقة والزنا، والقتل.

وفى تدوين التاريخ تياراتٌ من الالحاد: حيث يُقَدَّم الإسلام على أنَّه نتيجة لصراع الطبقات، ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادى: يصنف فيه الصحابة إلى يمين، ويسار، ويُقدم فيه رسول الله ﷺ على أنه رسول الحرية، أو غيرها من القيم الإنسانية.

ونحن واجدون شبهاً قوياً بين تيارات الإلحاد العصرية هذه، والتيارات الإلحادية التى واجهها المسلمون فى عصر نشأة علم الكلام.

لذلك نرى أنَّ المسلمين اليوم بحاجة ملحة، إلى قيام علمٍ يقوم بمهمة حراسة العقائد الإسلامية على الوجه الذى قام به علم الكلام فى عصر النشأة ولكن لا نقصد من علم الكلام الذى يحتاجه المسلمون اليوم هذا الذى انعزل عن التيارات الثقافية، والعلمية المعاصرة، بل نعنى به علماً متطوراً يتغلغل فى أعماق التيارات الحديثة، ويستوعبها، ويكون قبل ذلك معنياً بدراسة مسائل العقيدة كما وردت فى الكتاب والسنة، يستوحى منها النص ببساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التى فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا منصرفاً عنها، وأنْ ينهج فى تقرير مسائله منهجاً يستهدف الإقناع بوسائله العقلية، والوجدانية على السواء.

***